مدينة المهدية، مستعمرة نورماندية في بلاد الإسلام منتصف القرنين السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي

د. رشيد تومي
قسم التاريخ- جامعة الجزائر

1- دوافع تطلّعات النّورمان تجاه شمال إفريقيا

في شهر فبراير سنة 1091م/484هـ احتل النورمان NORMANDS(*) بزعامة الكونت روجر الأول Roger 1er، مدينة نوطو Noto الواقعة بجنوب شرق جزيرة صقلية. وشكل هذا الحدث نهاية للمقاومة الإسلامية المحلية التي استغرقت حوالي ثلاثين سنة(1)، وإيذانا معلوما بأفول نجم الحكم الإسلامي بالجزيرة بعد وجود دام قرنين ونيف من الزمن ويؤشر أيضا إلى ميلاد مرحلة تاريخية جديدة ذات تأثيرات بالغة وعميقة بالنسبة لأوربا وعالم البحر الأبيض المتوسط على حد سواء.

لقد كان من الطبيعي ألاّ يتوقف النورمان في زحفهم عند حدّ السواحل الشمالية للمتوسط إذ اعتقد هؤلاء الغزاة الشماليون الذين اشتهروا بروح المغامرة الفياضة وطموحاتهم الجامحة، أن حوض هذا البحر هو بمثابة فضاء حيوي يجب احتواؤه لما له من أهمية إستراتيجية في المجالين الاقتصادي والأمني، ومن ذلك شكل السعي إلى احتلال

سواحل شمال أفريقيا أحد المظاهر البارزة للسياسة الخارجية النورماندية في المنطقة. وكان مهندس هذا التصور هو الملك روجر الثاني(*) حامل كلّ آمال وتطلعات آل هوتفيل والذي لم يَأْلُ جهدا في سبيل تأكيد سيادة النورمان في عالم البحر المتوسط[2].

وفي إطار هذا الاهتمام، تعد " بلاد إفريقية(**)" من بين أقاليم المتوسط التي حرص روجر الثاني على إلحاقها بعرشه لما تشكله من امتداد طبيعي وعمق أمني واقتصادي لتاجه. إذ رأى هذا الأخير أنه بات من الضروري بمكان، احتلال أفريقية وذلك لتجفيف منابع الخطر الصادر عن دولة الزيريين(***) بإفريقية التي اعتادت الإجهاز بجيشها على أراضي صقلية وجنوب إيطاليا[3] وكذا لاستئصال شأفة نشاط القراصنة الذي غدت مدينة طرابلس وجزيرة جربة منطلقا له مما أثر سلبا على الأوضاع الاقتصادية والأمنية للبحر المتوسط. وتأتي أيضا تطلعات روجر الثاني، تجاه سواحل شمال أفريقيا بشكل عام، ضمن سعيه الجاد إلى بسط السيطرة النورماندية على المقدرات الاقتصادية للمتوسط من خلال إحكام القبضة على تجارة الصحراء وفرض رقابة محكمة على طرق التجارة والاتصال الرابطة بين الحوضين، الغربي والشرقي، لهذا البحر. وجرّاء هذا الحرص، يتجلى توْقُه الشديد إلى تحويل مجال عرشه، إلى مركز ثقل لتجارة البحر المتوسط برمتها[4].

2- العلاقة النورماندية الزيرية قبل احتلال النورمان لمدينة المهدية

وبناء على هذه النوايا التوسعية، ظل روجر الثاني يتربص بأحوال أفريقية ويتحيّن الفرصة للإجهاز على أراضيها. لكن في الوقت ذاته، وعلى غرار أبيه روجر الأول، حافظ على جسور العلاقة مع الزيريين والتي وصفت بأنها حسنة وجيّدة أحيانا ومتقلبة ومتأزمة أحيانا أخرى[5]. وقد أشار المؤرخ أماري إلى هذه العلاقة في إحدى مراحلها، أي في عهد

علي بن تميم، وأقر أنها "دون حرب أو سلم"[6] وهي بذلك أشبه بالحرب الباردة. وأمّا ابن الأثير فإنه كشف عن النفاق والخداع اللذين تميز بهما موقف روجر الثاني. وفي ذلك يقول :

"وأقام رجار الفرنجي مظهرًا للحسن – الأمير الزيري – أنه مهادنة وموافقة وهو مع ذلك يُعمر الشوانيء ويكثر عددها وآلاتها..."[7]. على أن هذه العلاقة غير المستقرة، ظلت على هذا الحال إلى أن تعرضت مدينة نقوطرة Nicotera بإقليم قلورية Calabre- جنوب إيطاليا – عام 516 هـ/ صيف 1122م، لحملة عسكرية شنها جيش المرابطين بقيادة أبي عبد الله ميمون. وذكر ابن عذارى أنّ هذا الجيش " سبى نساءها وأطفالها وقتل شيوخها وسلب جميع ما وجده فيها. فلم يشك. ....- روجر الثاني- أن المحرك لذلك والمسبب له هو أمير أفريقية الحسن بن علي لما تقدم بينه وبين أبيه من الوحشة"[8].

على أن هذه الحملة العسكرية على جنوب إيطاليا، شكلت نقطة تحول في العلاقة النورماندية الزيرية حيث أوجدت لروجر الثاني مبررا قاطعا لإقرار أمر غزو أفريقية دون رجعة[9] وخاصة أنه أيقن أن هذا الهجوم ما هو إلا ثمرة للتحالف الزيري المرابطي الذي أبرم في عهد علي، والد الحسن[10]. ومن ثم عقد روجر العزم على تأديب الحسن الزيري[*]، وضربه في صميم ملكه وذلك باحتلال مدينة المهدية " حاضرة إمارة الزيريين"[11]. ومن ذلك لم يلبث الطرفان، روجر الثاني والحسن، أن انكبا على إعداد العدة المطلوبة لخوض حرب قد يطول أمدها ويشتد آوارها[12].

الواقع أن مشروع احتلال مدينة المهدية قد مر بمحاولتين عسكريتين كاسحتين تخللهما هجوم، لا يغدو أن يكون سوى استفزاز خاطف توج بجمع الغنائم فحسب[13] فيما فشلت الحملة الأولى ونجحت الثانية نجاحا باهرا. لقد انطلقت الحملة الأولى عقب التوتر المذكور بين الحسن وروجر الثاني، في شهر جمادي الأولى عام 517هـ/26 جوان–26 جويلية عام 1127م، بقيادة أمير أمراء البحر جورج الأنطاكيGeorges d'Antioche [**] لكن هذه الحملة، على الرغم مما أحيط بها من أسباب الفوز والنجاح، إلا أنها آلت إلى الفشل الذريع حيث هزم الجيش النورماندي هزيمة نكراء بجزيرة الأحاسي[*] في الثامن والعشرين من شهر جمادي الأولى عام 517هـ/24 جويلية عام 1127م. وعبّر ابن أبي دينار عن النكسة النورماندية

حيث قال : " لم يرجع منها إلى صقلية إلا قدر ماية مركب ولم ينج من الخيل إلا فرسين"[14].

وقد قلّل الكاتب أماري منذ البداية، من أهمية هذه الحملة إذ انتهى إلى أنها مجرد اندفاع جامح وانتقام فوري، تفتقر إلى خطة ناضجة وهي خالية من شروط عملية غزو وفتح مُنظمة[15].

3- احتلال النورمان لمدينة المهدية عام 543هـ/ 1148م (ظروفه، دافعه، تحقيقه) :

وأما المحاولة الثانية الكاسحة لاحتلال مدينة المهدية والتي كلّلت بالفوز المبين فإنها وقعت في سنة 534هـ/1148م، وكان قرار توجيه هذه الحملة العسكرية قد صدر في مرحلة كانت تسود أوربا وإفريقية أوضاع حاسمة. فمن جانب أوربا الغربية فإنها باتت تعيش على وقع حملة القديس برنارد Bernard S[t] مقدم دير كليرفو clairvaux[(**)] الداعية إلى الحرب المقدسة في المشرق الإسلامي، إثر سقوط إمارة الرها الصليبية[(***)]. وتمثل هذه الدعوة فرصة ثمينة بالنسبة لروجر الثاني لإعلاء شأنه في أوساط العالم المسيحي وذلك بالانقضاض على إحدى قلاع المسلمين بإفريقية[16] هذا دون أن يحيد عن تطلعاته التوسعية بالساحل الجنوبي للمتوسط. وأما إفريقية فكانت في هذه الحقبة ترزح تحت وطأة أزمة اقتصادية خانقة وأوضاع اجتماعية حالكة. وقد عبّر ابن أبي دينار عن هذا الوضع

المزري فقال : " في هذه السنة – 541هـ/1146م- كان القحط بإفريقية حتى فرّت غالبية الناس إلى صقلية"[17].

ثم يؤكد ابن الأثير هذه الكارثة التي حاقت بالمغرب الإسلامي بقوله : "وكانت الشدة دوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين إلى هذه السنة – 543هـ/1148م – وكان أشدّ ذلك سنة اثنتين وأربعين"-1147م-[18]. وحتى يضاعف من تفاقم هذه الأزمة الداخلية الإفريقية، بادر روجر الثاني بالامتناع عن تصدير الحبوب إلى هذه الإمارة الإسلامية، باعتباره المموّن الأول للزّيريين بهذه المادة الأساسية. "وأكل الناس بعضهم بعضا وكثر الموت في الناس"[19]. وبيّن ابن عذاري أيضا هذا الواقع الأليم، فقال : "ولّما استولى صاحب صقلية على هذه المدينة –المهدية- كانت بإفريقية مجاعة عظيمة"[20].

وهكذا يكون روجر الثاني قد أجاد اختيار الموعد المناسب لتوجيه ضربة قاضية لمدينة المهدية، قاعدة ملك الحسن، الذي بلغ حقا في هذه الآونة أقصى درجة الوهن والانحطاط. وعبّر ابن الأثير عن هذا الضنك الرهيب بقوله : "وعظم الأمر على أهل البلد... وكان أهل البيت لا يبقى منهم أحد ولقوا أمرا عظيما. .. فاغتنم رجار هذه الشدّة[21]". ويشير الكاتب في حديثه إلى مرض وباء فتّاك كان قد أرخى سدوله على منطقة إفريقية، وشخّصه المؤرّخ الهادي إدريس بأنّه مرض الطّاعون[22].

ولاشك أن هذه الظروف الحالكة السائدة بإفريقية قد شجّعت روجر الثاني على تسيير حملته ضد المهدية، إلا أن العامل المحرك والمعجّل لهذه الهجمة العسكرية إنما يكمن في الأزمة التي دبّت بين الحسن الزيري ويوسف حاكم مدينة قابس، باسم محمد بن الرشيد الأصغر، مفادها أن يوسف، العبد المملوك للرشيد بن كامل، أقبل على عزل محمد بن الرشيد ثم لم يتورّع عن إعلان ولائه السافر للملك روجر الثاني مما أثار غيظ الحسن الذي تدخل بالقوة وأنهى تمرّد يوسف وعاقبه بالقتل. وقد شجب روجر الثاني من جانبه هذا التصرف واعتبره إهانة واستفزازًا له، وردّ عليه بمحاولة احتلال مدينة قابس. ولكن إذا كان روجر الثاني قد فشل في اقتحامها[23] إلاّ أن هذه الأزمة عجّلت بتصميمه لاحتلال مدينة المهدية وخاصّة أنّه وُفّق في بسط سيطرته على جزيرة جربة عام 529-530هـ/1135م ومدينة طرابلس عام 541هـ/1146م[24].

وهكذا تحركت الآلة العسكرية النورماندية بكل ثقلها تحت إمرة القائد الشهير جورج الأنطاكي سنة 543هـ/ ربيع 1148م. وقد ذكر ابن الأثير أنّ روجر الثاني "عمّر الأسطول وأكثر منه فبلغ مائتين وخمسين شينا مملوءة رجالا وسلاحا وقوة وسار الأسطول عن صقلية"[25] قاصدا مدينة المهدية.

على أن انطلاق هذا الأسطول لم يلبث أن بلغ إلى أسماع الحسن الزيري، غير أنّ قائد الحملة أوهمه أنّ وجهة الأسطول هي الأراضي

البيزنطية، فاطمأن وأخلد إلى السكينة. ويروي ابن الأثير عن طابع التمويه الذي أضفاه جورج الأنطاكي على هذه الحملة، فأورد أن الأسطول النورماندي حينما حل "بجزيرة قوصرة(*)"، وهي بين المهدية وصقلية، صادفوا بها مركبا وصل من المهدية فأخذ أهله وأحضروا بين يدي جرجي مقدم الأسطول فسألهم عن حال إفريقية ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل أرسلوا منها شيئا فحلفوا أنهم لم يرسلوا شيئا فأمر الرجل الذي كان الحمام صحبته أن يكتب بخطه أننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الأسطول المخذول فذكروا أنه أقلع إلى جزائر القسطنطينية وأطلق الحمام فوصل المهدية فسرّ الأمير الحسن والناس"[26].

وقد بنى جورج الأنطاكي خطته على أساس مهاجمة المدينة على حين غفلة من سكانها ومن ثم حرص على بلوغ المهدية وقت السحر، غير أن عاصفة هَوْجاء أخّرت وصول الأسطول إلى حين بزوغ النهار وكان ذلك يوم الاثنين من شهر صفر/22 جوان من نفس العام[27]. ولما انكشف أمره أبلغ القائدُ جورج الأنطاكي، الأمير الزيري الحسن، بأن الغاية من هذه الحملة هي إنزال العقاب بقتلة يوسف وتمكين محمد بن الرشيد من استرجاع عرشه الضائع بمدينة قابس، باعتباره تابعا وحليفا لروجر الثاني. والتمس منه أيضا إمداده بقوة عسكرية تساعده على تحقيق هذه المهمة، معتمدا في هذا الطلب، على الاتفاقيات المبرمة بين روجر الثاني والحسن والتي تدوم صلاحيتها عشر سنوات حسب العرف الدبلوماسي السائد آنذاك[28].

وثمة اتفاقية أبرمت بين روجر الثاني والحسن عام 536هـ/1140–1141م وهي إذن مازالت سارية المفعول من الناحية الرسمية على الأقل[29]. وذهب ابن أبي دينار في القول بأن الحسن الزيري قد أعلن بموجبها، ولاءه وتبعيته للملك روجر الثاني[30].

وقبل أن يبادر باتخاذ أي قرار تجاه التماس جورج الأنطاكي، استشار الحسن نصحاءه من الفقهاء وأعيان المدينة فيما ينبغي عمله حيال طلب النورمان. وكان ردّهم هو وجوب المقاومة وحماية المدينة من الغزاة، واثقين من قدرات المدينة على ردّ المغيرين على أعقابهم[31]. الواقع أن الحسن وجد نفسه أمام وضعية حرجة ومحيرة للغاية. ذلك أنه أدرك إدراكا يقينا هذه المرة، أنه يواجه قوة نورماندية يصعب عليه محاربتها في ظل غياب مستلزمات الحرب الضرورية، إذ كانت حاجة السكان إلى المؤونة لا تكفي إلا لأيام معدودة فقط[32]، كما أن جزءا من قوات جيش الحسن كان مشغولا في شمال الإمارة حيث انهمك في مساندة محرز بن زياد الفادي، صاحب مدينة المعلقة، ضد ابن خرسان، حاكم مدينة تونس[33]، وهو ما يؤدي حتما إلى إضعاف الطاقة الدفاعية للمدينة. وفي ذات الحين احتار الحسن واستثقل مشاركة المسيحيين بقواته في العدوان على مدينة قابس، وهي خطيئة لا تغتفر في نظره. ومن جانب آخر رأى الحسن أن إحجامه عن مؤازرة النورمان في هذه المناسبة يعد خرقا سافرا للمعاهدات القائمة بنية وبين روجر الثاني مما سيفضي إلى استنكار وغضب هذا الأخير[34]. وهكذا نجح جورج الأنطاكي في فرض تمويه مُحكم،

زعزع به معنويات آل زيري وكذا في إثارة لغط حول مسألة باتت محسومة في حسابات النورمان.

على أن الحسن الزيري لما استعصى عليه حل هذه المعضلة المفروضة عليه، وفي ظل انهزامه النفسي والعجز العسكري للمدينة[35]، آثر الاستسلام والتخلي عن عرشه حقنا لدماء المسلمين وحفاظا على أعراضهم وأملاكهم. وقد اشتهر بمقولته المشهودة وهي :

"سلامة المسلمين من القتل والأسر خيرا إلي من الملك والقصر"[36]. ولم يلبث الحسن حينئذ، أن غادر المدينة تاركا إياها لمصيرها المحتوم، متوجها إلى مدينة المعلقة، وهي بمقربة من تونس، عند صاحبها محرز بن زياد[*] ومعه أفراد عائلته وما تيسر من أمتعته – ما غلى ثمنه وقل وزنه –. وقد أثار هذا الموقف ذعرا وهولا مريعين داخل مدينة المهدية، ذلك أن الأهالي سرعان ما اقتدوا بأميرهم الحسن، فاندفع الكثير منهم إلى خارج المدينة فيما لاذ بعضهم إلى الكنائس وبيوت النصارى ملتمسين من أهلها النجدة والحماية.

وكانت نتيجة هذه الفوضى العارمة أن فقدت المدينة تماسكها ومناعتها إذ أضحت دون حامية أو قيادة تقيها من شر النورمان وتحميها من خطرهم الداهم. وقد يسر هذا المشهد الأليم لجورج الأنطاكي سبيل الدخول إلى المدينة واستولى عليها " بغير مانع ولا مدافع".

وحدث ذلك في يوم الاثنين الثاني من صفر سنة 543هـ/22 جوان 1148م[37].

- سياسة النّورمان تجاه أهالي المهدية

الواقع أن احتلال النورمان لمدينة المهدية، يعد محطة حاسمة في تاريخ سياسة التوسع النورماندي بالبحر المتوسط لما تجسده هذه المدينة، من قاعدة سياسية غير هينة وعمق إستراتيجي لعرش النورمان في منطقة المغرب الإسلامي. ويمثل هذا الفتح النورماندي أيضا بداية عهد جديد بالنسبة للمهدية وإيذانًا مشهودا بإلحاق هذه الأخيرة بمملكة روجر الثاني لتتحوّل إلى مستعمرة نورماندية نموذجية في بلاد الإسلام.

على أن خصوصية الحكم النورماندي بمدينة المهدية، أفرز عكس ما توقعه سكانها من مُحتل أجنبي غاشم وذلك جرّاء ما مارسه جورج الأنطاكي، قائد الحملة العسكرية، من سياسة تنمّ عن كثير من الحكمة وبعد النظر. ذلك أن هذا القائد لم يتصرّف تجاه الأهالي المسلمين بمنطق الانتقام وتسلّط الغالب على المغلوب وما يتمخّض عن ذلك من سطو ونهب وانتهاك للأعراض والحرمات، بل انتهج نهجًا تدبيريا ضمن بفضله، للمسلمين والمسيحيين، كل شروط الدعة والاستقرار والازدهار. وفي هذا الصدد أظهر جورج الأنطاكي تجاه أهلي المهديتين(*)، حلما وتبصرا لا يمكن أن يصدرا إلا من قائد داهية ومحنك، عليم بأحوال العرب وطبائعهم. ودقّق ابن عذاري هذا الوصف فقال له : "فكان هذا اللّعين –جورج الأنطاكي- عارفا بعورات المسلمين بالمهدية وغيرها". وذكرت المصادر الإسلامية أنه عامل الناس برفق شديد ويسّر شروط العودة

للمهاجرين الفارين بعد أن أمن الجميع على أنفسهم وأموالهم وذويهم. وكان أكثر رفقا مع من تخلّف من أفراد عائلة الحسن حيث بادر بإرسالهم إلى صقلية للإقامة بها. وعن قصر الحسن فقد أحاطه بالحماية المطلوبة وأمّن أمواله وذخائره النفيسة ثم وضع الأختام على أبواب الخزائن.

وقد عبّر ابن الأثير عن المشهد الذي أعقب سقوط المهدية، فأورد الحقائق التّالية : "فلما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ونودي بالأمان فخرج من كان مستخفيا فأصبح جرجى من الغد فأرسل إلى من قرب من العرب فدخلوا إليه فأحسن إليهم... وأرسل من جند المهدية الذين تخلفوا بها جماعة ومعهم أمان لأهل المهدية الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الأطفال والنّساء وكانوا قد أشرفوا على الهلاك من الجوع ولهم بالمهدية خبايا وودائع فلما وصل إليهم الأمان رجعوا فلم يمض غير جمعة حتى رجع أكثر أهل البلد"[38].

وقد قدّر حجم هذه الثروة بما جمعه آل زيري طيلة قرنين من الزمن[39]. وكمسؤول على قوة الاحتلال النورماندي حرص جورج الأنطاكي على النهوض بأوضاع المهديتين الاقتصادية والاجتماعية. ومن ذلك سعى إلى ضمان تدبير إداري محكم للمدينتين وإلى توفير الشروط الضرورية لبعث التجارة وازدهارها، وكذلك قطاع العدالة وهو أساس الملك، فقد حظي باهتمامه بشكل ملحوظ آخذا في

الحسبان الخصوصيات الإسلامية للأهالي[40]. وقد وقف التيجاني عند هذا الواقع الذي أعقب الاحتلال فقال :

"وفرق عليهم مالا وطعاما أقرضهم إياه فصلحت أحوالهم واغتبط الناس بالمهدية لما رأوا من عدل النصارى فعمرت أحسن عمارة"[41]. ويؤكد ابن أبي دينار هذه الحقيقة بقوله : "وعمّر عدوّ الله المدينتين زويلة والمهديّة ودفع للتجار رؤوس أموال وأحسن لفقرائهم وقدّم قاضيا رضيا - من لدنهم- يحكم بين الناس ومهّد قواعد البلدين"[42]. ويُقر ابن الأثير أن جورج الأنطاكي " أحسن إليهم - الأهالي - وأعطاهم أموالا جزيلة. .."[43]، وعلى حد قول ابن خلدون فإنّ هذا القائد أقرّ سكان المهدية على الجزية[44] دون الضرائب السائدة الأخرى[45].

ومهما يكن من أمر هذه الروايات العربية التي حفظت هذا الحدث المُؤلم في التاريخ الإسلامي فإنها تميّزت بالنزاهة الواضحة وأنصفت القائد جورج الأنطاكي وأثنت على معاملته السمحاء تجاه أهالي المهديتين، إلا أن هذا الموقف لا ينبغي أن يحجب عن الأنظار، الطابع الاستعماري لهذه الحملة النورماندية وأهدافها الخفية والبعيدة والمسيئة إلى مصالح منطقة إفريقية كلها. وليس هناك من شك أن للعامل الأمني والاقتصادي والعسكري مكانة واضحة في سياسة توسع النورمان بالبحر المتوسط[46]، لكن لا يجب إغفال العنصر الديني كدافع لاحتلال سواحل إفريقية وكعامل فعال لتوطيد أسس

الحكم النورماندي بالمنطقة. وإذا كان الكاتب جون ماري مارتن Jean Marie Martin ينفي تأثير الدين على سياسة النورمان الإفريقية[47]، إلا أن المؤرخ الفرنسي برسْك Bresc(H) قد تحدث عن اهتمام النورمان ببعث أسس الكنيسة الكاثوليكية وتعزيزها داخل مستعمراتها الأفريقية وذكر دورهم في إعادة تنشيط أسقفية المهدية وإقبالهم سنة 1157م على إعادة فتح أسقفية سبيلا Sibilla، بجزيرة جربة، مع إعادة إعمارها بعناصر مسيحية. وذهب برسك برأيه إلى أن إعادة بناء كنيسة إفريقية يُعد أحد أهداف احتلال مدينة المهدية[48]. وأشار التيجاني إلى أن جورج الأنطاكي قد أولى اهتماما بالغا بالمسيحيين عقب احتلال المهدية، حيث جرى نقلهم إلى سهل يفصل بين المدينتين وأسكنهم به حتى يشملهم دون شك بحمايته ورعايته[49].

وأثناء حكم النورمان تحولت مدينة المهدية مع زويلة إلى ملجأ يأوي إليه كل مسيحي افريقية الفارين من تهديد الثورة في الساحل الشرقي وكذا ضغط الموحدين في الساحل الغربي. وعلى اثر ثورة مسلمي زويلة الفاشلة على الحكم النورماندي عام 551هـ/1157م، عيّن الملك غليوم الأول (1154-1166م) مطرانا - رئيس أساقفة- على هذه الضاحية مما يعزز مركز الكنيسة بها[50]. ولا يستبعد برسك وجود العلاقة بين هذه السياسة الدينية المسيحية والثورات التي طالت المستعمرات النورماندية في إفريقية[51]، فيما رأى المؤرخ أبو العافية Abulafia(D.) أنّ احتلال النورمان للمهدية وما ارتبط به من محاولة

لبعث أسس الكنيسة الإفريقية، يمثل عامل تشجيع للجالية المسيحية بإفريقية كما يجسد نهاية للعبودية التي وقع تحت نيرها الأسرى المسيحيون بهذه المنطقة والدين كانوا قد سقطوا في قبضة البحرية الإسلامية[52]. ولكن مهما يكن من أمر هذه السياسة الدينية فإنّ المؤرخيْن شالندن Chalandon(F.)والهادي روجر إدريس يعترفان بالعلاقة العضوية بين هذه الثورات الإفريقية وسياسة الاضطهاد الديني التي انتهجها النورمان تجاه الأهالي[53].

وعلى كل فإنه يتبيّن أن الحكم النورماندي بإفريقية بشكل عام، وعلى الرغم من إسناد حكم المستعمرات لأعيان الأهالي المسلمين المحليين والمقيدين بوجود أبنائهم رهائن في مدينة بالرمو، عاصمة المملكة، قد اتبع سياسة تقوم على أساس تعزيز أركان المسيحية عن طريق تنشيط وتثبيت الأسقفيات والكنائس وكذا حشد العناصر المسيحية المحلية في مواقع معلومة لما يوفره ذلك من حماية وضمان للكيان النورماندي. ولاشك أن هذه العناصر قد استخدمت في الإدارة المحلية كحرّاس للقلاع وكقوة رادعة يعتمد عليها في قمع كل أشكال العصيان. وهكذا يُلمس من هذه الممارسات كلّها تحيّز واضح وصارخ إلى العنصر المسيحي من قبل النورمان واستعملوه بشكل ناجع ومحكم في سبيل تعزيز وتثبيت حكمهم في مستعمراتهم الإفريقية بشكل عام والمهدية بشكل خاص[54].

وأما من الناحية السياسية فكانت مدينة المهدية تحظى بمكانة خاصة لدى المملكة النورماندية لأنها تشكل في نظرها عمقا استراتيجيا لها في البرّ الإسلامي وهي أيضا رمز تواجدها في افريقية وقاعدة أمامية تحافظ على استمرار السلم النورماندي بمنطقة المتوسط. ويعبّر عن هذه المكانة الرفيعة ما تحتويه المدينة من صفوة النورمان وكبار نبلائهم. وذكر ابن الأثير أن بالمهدية " أولاد ملوك الفرنج وأبطال الفرسان"[55]. وقال المراكشي في معجبه "فيها الروم - النورمان - أصحاب الدوقة"[56]. وأما ابن خلدون فقد أورد أن "بها أولاد الملوك والزعماء من الفرنج"[57]، وذكر التيجاني أيضا أن "بها حينئذ ولاة ملوك الفرنج وأبطالهم"[58].

إن احتضان المهدية لهذه الفئة ذات المكانة الاجتماعية السامية والقدرة القتالية العالية باعتبارهم فرسانا مهرة، إنما يدل على ما تنتظر المملكة من هذه القاعدة الأمامية من دور فعال في تأكيد وتعزيز سيادة المملكة في هذا الوسط الإسلامي.

وتُجسد أهمية هذه المدينة أيضا، الحامية العسكرية النورماندية المرابطة بها والتي يقدر صاحب "الحلل الموشية" حجمها بثلاثة ألاف محارب. ولاشك أن هذه الفرقة تمثل رأس الحربة للجيش النورماندي في إفريقية، وتجلّت قوتها الضاربة من خلال القساوة التي قمعت بها ثورة أهل زويلة عام 551هـ/1156–1157م[59].

وقد استقطب الجانب المالي، هو الآخر بمدينة المهدية، اهتمام الملك روجر الثاني، حيث أمر هذا الأخير بسك عملة ذهبية تزن القطعة الواحدة أربعة غرامات ومائة وثلاثة وخمسين م. غ. وحجمها اثنان وعشرون مليمترا. وعلى هذه العملة نقشت العبارات التالية : "ضرب بأمر الملك المعظم رجار، المعز بالله بمدينة المهدية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة" وعلى الوجه الآخر ما يلي : "الحمد لله حق حمده وكما هو أهله ومستحقه. الملك رجار. المعز بالله". ويأتي هذا الإنجاز المالي، باعتباره مظهرا من مظاهر السيادة لكل كيان، ليصبح رمزا لاستقلال اقتصاد المهدية خاصة والمستعمرات النورماندية الإفريقية عامة، عن النظام المالي الإفريقي السائد في هذه الفترة، كما يضفي طابع الشخصية النورماندية على مُلك إسلامي أضحت تبعيته لتاج صقلية أمرا مقضيا[60].

وهكذا يعتبر احتلال روجر الثاني لمدينة المهدية صفحة مجيدة في تاريخ المملكة النورماندية- بجنوب إيطاليا- ونجاحا باهرا لسياسة هذه الدولة التوسعية، الرامية إلى بسط السيطرة على مجال حيوي واستراتيجي، وهو البحر المتوسط، كان التواجد فيه موقوفا على الإمبراطوريات العريقة فقط. إنها نتيجة لا يحققها إلا مَن توفرت لديه الاستعدادات الكاملة وهي مجتمعة وملموسة عند عنصر النورمان. إن هذا الانجاز ليشبه إلى حد بعيد ما حققه ذووهم من آل هوتفيل في بلاد الشام من خلال بناء إمارة صليبية رائدة بأنطاكية في نهاية القرن 11م وبداية القرن 12م. الواقع أن ما حازه النورمان في إفريقية

وخاصة المهدية من مكاسب ملحوظة وما لها من انعكاسات جيوسياسية في عالم المتوسط، يستحق وقفة تأملية من أولي العلم والتبصر لإقامة الجسر التاريخي الرابط بين ماضي وحاضر المنطقة لمعرفة أسباب ومراحل تطورها وفهم حلقات التاريخ المتحكمة فيها والمتكررة في أكثر الأحيان. وعلى كلّ فإن عمر مستعمرة المهدية لم يدم طويلا إذ هبت رياح التحرير من مرّاكش أدت إلى استئصال شأفة الحكم النورماندي بها حيث استرجعها عبد المؤمن الموحدي من قبضة النورمان، ولكن بعد جهد جهيد ومُضن، في يوم عاشوراء أي اليوم العاشر من شهر محرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة/21 جانفي عام 1160م. والمعروفة "بسنة الأخماس". وبذلك عادت مدينة المهدية إلى حظيرة الإسلام، إثر حكم نورماندي مسيحي مدته اثنتا عشرة سنة.

الهوامش :

(*)- ينتمي النورمان أصلا إلى شبه جزيرة اسكندنافيا Scandinavie. ويعني هذا المصطلح رجال الشمال North-Men. ويُعرف هؤلاء أيضا بالفيكنج Vikings أي سكان الفيوردات Fiords. وفي إطار زحفهم على أوروبا- شرقا وغربا- في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، والمعروف عند المؤرخين بغزوات الفيكنج، إستقرت مجموعة منهم في منطقة بشمال غرب فرنسا وذلك بمقتضى الاتفاق الذي أبرمه زعيمها رولو -Rollo, Rollon- عام 911 م مع ملك فرنسا الغربية شارل البسيط Charles le simple (893 — 922م) فسميت هذه المنطقة "نورماندیا " Normandie، نسبة إليهم. ومن هذا الإقليم انطلقت أسراب من النورمان نحو جنوب إيطاليا، وفي فترات متتالية، بحثا عن مستقبل أكثر إشراقا وازدهارا. وكان أن انضم هؤلاء المهاجرون النورمان تحت لواء أمرائه المتصارعين، كمحاربين مرتزقة لكن سرعان ما تحولوا إلى فاتحين يعملون لحسابهم الخاص، مستغلين بحكمة بالغة اضطراب الأوضاع السياسية لهذه المنطقة. وقد تألق ضمن هذه الأفواج النورماندية المغامرة وبشكل بارز، أبناء أسرة هو تفيل Hauteville الذين اشتهروا بشجاعتهم ودهائهم ورباطة جأشهم، فكان لهم بذلك النصيب الأوفر من السلطان والمجد في هذا الموطن الغريب والبعيد. ومن هؤلاء نذكر غليوم ذا الذراع الحديديةGuillaume bras de fer ودروغنDrogon وهنفري Onfroi وروبرت جويسكارد Robert Guiscard وروجر Roger فاتح صقلية الشهير. ثمة مصادر ومراجع تناولت هذه الصفحة من التاريخ الأوروبي في العصور الوسطى نخص منها بالذكر : عاشور (سعيد عبد الفتاح) : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، بيروت، 1972م ؛ المدني (أحمد توفيق) : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، تونس، 1945م. وأنظر أيضا :

Chronique du M^t Cassin, Traduction de Calmette (J), Textes et Documents, Moyen-Age, T. II, Paris, 1953 ; Guillaume de Pouille, La Geste de Robert Guiscard, Traduction et Commentaire par Marguerite Mathieu, Palermo. 1961 ; orderic vital, Historia ecclesiastica, Traduit par Guizot (F.P.G), collection des Mémoires Relatifs à

l'Histoire de France, Paris, 1925 ; Guillaume de Jumièges, Historia Normannorum, Traduction Guizot, Paris, 1869 ; Delarc (O), Les normands en Italie depuis les premières invasions jusqu'à L'avènements de saint Grégoire VII, Paris, 1883 ; Musset (Lucien), les Peuples scandinaves au M-Age, Paris, 1951 ; Decarreaux (y), Normands Papes et Moines, Cinquante ans de conquête et de politique religieuse en Italie Méridionale et en Sicile, Paris, 1974 ; Lavisse (E), Histoire de France depuis les origines jusqu'à la révolution, T. II, Paris, 1844 ; Chalandon (F), Histoire de la domination Normande en Italie et en Sicile, T. 1er, Paris, 1907 ; Lot(F), Naissance de la France, Paris, 1948 ; Halphen (L), les Barbares, des grandes invasions aux conquêtes Turques du XIe siècle, Paris, 1963.

(1)- على الرغم من تفكك الصف الإسلامي بجزيرة صقلية، وما انجر عنه من ضعف ووهن وبعثرة طاقته، فإن الجيش النورماندي الغازي قد لقي متاعب مضنية بسبب مواجهة المسلمين له. وتؤكد هذه الحقيقة المدة الطويلة التي كلفت النورمان لاحتلال الجزيرة. وقد عبر عنها الشريف الإدريسي في روايته فقال : " إلى أن استولى – أي روجر الأول– على جميعها– أي صقلية– غلبة وقهرا وفتحها قطرا قطرا فقطرا وملكها ثغرا فثغرا وذلك في مدة ثلاثين عاما." الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نقلا عن أماري (ميكيلي) : المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م، ص. 26.

وذكرت المصادر الإسلامية حدث سقوط الجزيرة في قبضة النورمان لكن دون الإشارة إلى تفاصيل المقاومة المحلية مما يوحي إلى سهولة الفتح النورماندي لهذا القطر. ولعل هذا السكوت هو تعبير لهؤلاء المؤرخين المسلمين عن استيائهم واستنكارهم للفتن الداخلية التي باتت صقلية مرتعا خصيبا لها، كانت نتيجتها تمزق شمل المسلمين بها وضياع الجزيرة كلها. وعن موضوع احتلال النورمان لجزيرة صقلية والظروف المساعدة لذلك ارجع إلى : النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، نقلا عن المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م، ص. 445 – 448 ؛ ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، نقلا عن المكتبة العربية الصقلية، ص. 533 – 534 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م.ع.ص، ص. 484 – 485 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، نقلا عن م.ع.ص، ص 275 – 278 ؛ أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر، نقلا عن م.ع.ص، ص 414 ؛ إحسان

عباس : العرب في صقلية، القاهرة، 1959م، ص. 132 – 133 ؛ أماري (ميكيلي) : تاريخ مسلمي صقلية، ترجمهُ من الإيطالية، د. محب سعد إبراهيم وغيره، المجلد الثالث، الكتاب الخامس، ص. 61- 178. وعن المراجع الأجنبية ارجع إلى :

Malaterra (Geoffroy), Historia Sicula, dans Muratori (L-A), Rerum Italicarum Scriptores, livre III, 1ère partie (Dec.1925–Mai 1928) ; Chalandon (F.), Histoire de la domination normande en Italie et en Sicile, Tome 1er, pp. 191–211, 327–340 ; Bazancourt(le Baron de.), Histoire de la Sicile sous la domination Normande depuis la conquête de l'île jusqu'à l'établissement de la monarchie, T. I, Paris, 1946, p.86 et suivantes ; Gautier (d'Arc) , Histoire des conquêtes des Normands en Italie, en Sicile et en Grèce, Paris, 1830, p. 213 et suivantes ; Laprimaudaie (Elie. de), Arabes et Normands en Sicile et en Italie du Sud, Paris, 1868, p. 249 et suivantes.

(*)- توفي أبوه الكونت روجر الأول عام 1101م وتولت أمُّهُ الوصاية عليه إلى سنة 1112م. وكان سنه قد بلغ حينذاك سبع عشرة سنة. توج ملكا في 25 ديسمبر عام 1130م. ارجع إلى : أماري : تاريخ مسلمي صقلية، المجلد الثالث، ص. 340–341. وانظر أيضا : Chalandon , op. cit., I, p.p. 355–360.

(2)- أنظر : Chalandon, op.cit., p.p. 367–368.

(**) تمثل على وجه التقريب منطقة المغرب الأدنى. وقد جاء في تعريف ياقوت الحموي "أن حد أفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية، وقيل إلى مليانة". معجم البلدان، المجلد الأول، بيروت 1955، ص. 228.

(***) ينتمي الزيريون، إلى قبيلة صنهاجة البربرية المغربية. سمي هؤلاء بهذا الاسم نسبة إلى زيري بن مناد الصنهاجي (المتوفي عام 360هـ/ 971م) مؤسس دولة بني زيري بالمغرب الأوسط. عن تفاصيل قيام دولة بني زيري أرجع إلى : القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، جـ. 5، القاهرة، 1922م، ص. 124–125 ؛ حسن حسني (عبد الوهاب) : خلاصة تاريخ تونس، تونس، 1983م، ص. 105–114 ؛ **مارسيه (ج G. Marçais)، مقال الزيريون في دائرة المعارف الإسلامية**، ج. 11، ص. 21–23.

(3)- عن تطلعات الزيريين في عهد تميم بن المعز بن باديس (454–501 هـ/1062–1108م) تجاه صقلية وجنوب إيطاليا، ارجع إلى : ابن الأثير : الكامل، نقلا عن

م-ع- ص. 277 ؛ النويري : نهاية الأرب، نقلا عن م-ع- ص، ص. 447 – 448. وانظر أيضا :

Hady (Roger Idris), la Berberie orientale sous les Zirides X^e–XII^e siècles, Paris, T. I, p.p. 283–286 ; Deuve (J.), les seigneurs de l'ombre, les services secrets Normands au XII^e siècle, Ed. ch. Colet, 1995, p. 174 ; Chalandon, op. cit., I, P.P. 202 , 205-209.

(4)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 286 ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية، جـ. III، ص. 393.

وأنظر أيضا : Deuve, op. cit., p. 173 -174 ; Perrin (Ed. Ch.), l'Allemagne, L'Italie et la papauté de 1125 à 1250, Paris, - op. cit., I, p. 368 – pp. 78–79 ; Chalandon, op. cit., I, pp. 367–368.

تحدث المؤلف شالندن عن أهمية دور صقلية في الحركة التجارية بالبحر المتوسط فيما أشار كل من الهادي إدريس والكاتب دوف Deuve إلى الموقع الإستراتيجي لجزيرة جربة والدور الذي قد تلعبه في التحكم في الحركة التجارية بين غرب وشرق المتوسط. أنظر : Deuve, op. cit., p. 177 ; Idriss (H.R), op. cit., I, p. 346 ؛ وعن دواعي اهتمام النورمان بعالم المتوسّط، ارجع أيضًا إلى :

Martin (J.M), Italies Normandes, XI^e- XII^e siècles, p. 365 ; Giunta Francesco, Il regno tra realta Europea e vocazione Mediterranea, ds Potere, societa e popolo nell età dei due guglielmi, dans atti delle quarte giornate Normanno – Sveve, Bari 8-10 octobre, 1997, p. 21.

(5)- اشتهر الكونت روجر الأول بموقفه الإيجابي تجاه الزيريين حينما رفض المشاركة في حملة عسكرية ضد مدينة المهديّة إلى جانب الجنويين والبيزيين بحجة التزامه باتفاق الصلح الذي يربطه بالأمير الزيري تميم. عن هذه الصفحة من العلاقة النورماندية الزيرية السياسية والاقتصادية في عهد روجر الأول وابنه روجر الثاني، أرجع إلى : المصادر الإسلامية الموجودة في المكتبة العربية الصقلية، الصفحات : 280-282 و382– 383 و393 و454–456 و486 وما بعدها و535 ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م. III، ص 170–171، 189–190، 362–366 ؛ توفيق الطيبي أمين : العلاقات بين جزيرتي جربة وصقلية في أواخر القرون

الوسطى (1100–1500) ضمن مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، يناير 1984، ص. 140–141 ؛ وانظر أيضا :

Maslatrie (Le Comte de), Traités de Paix et de Commerce, documents divers Concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-âge, Paris, 1866, pp. 29–33 ; Mercier(E), Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, Paris, 1888, Tome II, pp. 42, 59 ; Idris (H–R), op. cit., I, pp. 287, 320, 322–324 ; Deuve, op. cit., pp. 173–175 ; Chalandon , op. cit., I, pp. 331 – 332, 369–373.

(6) أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص 366.

(7) الكامل، نقلا عن – م-ع- ص، ص. 285- 286.

(8) البيان، نقلا عن م-ع- ص، ص 371. وانظر أيضا : ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص 282 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م- ع- ص، ص 393–394 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص 487.

(9)- أنظر : Chalandon, op. cit., I , p. 373.

(10)- أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م. III، ص. 374 ؛ وانظر أيضا : Hady (R.I), op. cit., I, p. 334.

(*) يقول عنه النويري : "كانت ولايته بعهد من أبيه – علي بن يحي– فاستقل بعد وفاة أبيه وله من العمر آنذاك اثنتا عشرة سنة وشهور فدبر دولته صندل الخصي وحفظ الملك. " دام حكمه على أفريقية من 515هـ/1121م إلى 543هـ/1148م ؛ النويري : نهاية الأرب، نقلا عن م-ع- ص، ص 456. وأرجع أيضا إلى : القلقشندي : صبح الأعشى، جـ. 5، ص. 125. وأنظر أيضا : Hady (R.I), op. cit., I, p.333.

(11)- تطل مدينة المهدية على البحر المتوسط. تقع جنوب مدينة تونس. تحتل موقعا جغرافيا حساسا يكفل لها الحصانة والحماية الكاملتين. وقد عبر المراكشي في معجبه، تعبيرا وافيا عن موقعها وإمكانياتها الدفاعية فيقول. " وهي من معاقل المغرب المنيعة لأن بنيانها في غاية الإحكام والوثاقة. بلغني أن عرض حائط سورها ممشا ستة أفراس في صف واحد ولا طريق لها من البر إلا على باب واحد. والبحر في قبضة من في البلد يدخل الشيني - المركب- كما

هو بمقاتلته إلى داخل دار الصناعة لا يقدر أحد ممن في البر على منعه. ..". نقلا عن م-ع- ص، ص. 319.

(12)- عن ظروف وحجم هذه الاستعدادات أرجع إلى : ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع-ص، ص. 282 – 283 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 394 – 396 ؛ ابن أبن دينار : المؤنس، نقلا عن م-ع- ص، ص. 536 ؛ ابن عذارى : البيان، نقلا عن م-ع-ص، ص 371- 372 ؛ ابن خلدون العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص 487 ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة، النقية في أمراء أفريقية، تونس، 1233هـ/1866م، ص 51 ؛ يذكر المؤرخ الفاطمي، ابن ميسر، أن الحسن سعى لدى الخليفة الفاطمي بمصر، الحافظ لدين الله (524–544هـ/1130-1149م)، يلتمس منه وساطته لحل الأزمة المستحكمة بينه وبين روجر الثاني : ابن ميسر : أخبار مصر، في :

Recueil des Historiens Orientaux, T. III, Paris, 1884, p. 468.

(13)- حدثت في عام 536هـ/1140-1141م. عن هذه الحملة أرجع إلى : التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع-ص، ص 398–399 ؛ ابن عذارى، البيان، نقلا عن م-ع-ص، ص. 372 – 373 ؛ ابن أبي دينار : المؤنس، نقلا عن م-ع- ص، ص 537 ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص. 51–52. وانظر أيضا :

Chalandon, op. cit., I, pp. 159-160 ؛ Hady (R.I), op. cit., I, pp. 347– 348

(**) ذكره التيجاني باسم "جرجير بن فلان الأنطاكي" نشأ في بيئة الشرق وبالضبط في أنطاكية بالشام. كان عريفا بلسان العرب. انضم إلى بلاط تميم الزيري بالمهدية. ولما نال ثقته عينه مشرفا عاما على خزينة الأمارة المالية، ولما مات يحي توجس خيفة من ابنه علي، مما جعله يشد الرحال سرا إلى بالرمو بصقلية، فاستقر عند روجر الثاني. وفي بلاط هذا الأخير عظم شأنه وتألق نجمه حتى صار أهم شخصية في إدارة المملكة، إذ تولى بالفعل مهام رئيس الوزراء ووزارتي السيف والقلم. لمعرفة التفاصيل عن هذا القائد أرجع إلى : التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 392 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 487 ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص. 51 ؛ أماري : تاريخ

مسلمي صقلية، م III، ص. 354 – 355. وأنظر أيضا : Chalandon, op. cit., I, pp. 274–275.

(*)- تقع بشمال المهدية وتبعد عنها بعشرة أميال فقط.

(14)- المؤنس، نقلا عن م-ع- ص، ص. 536.

تحدثت المصادر الإسلامية، نقلا عن م-ع- ص، عن هذه الحملة النورماندية ونتائجها وهي : الكامل، ص. 282–284 ؛ رحلة التيجاني، ص. 394–397 ؛ البيان المغرب، ص. 371–372 ؛ المؤنس، ص. 536 ؛ العبر، ص. 487. وانظر أيضا :

ابن حمديس : ديوانه، تصحيح

وتحقيق إحسان عباس، بيروت، 1960م، ص. 255 ؛ الباجي المسعودي : الخلاصة النقية، ص. 51 ؛ حسن حسني عبد الوهاب : خلاصة تاريخ تونس، ص. 118 ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م. III، ص. 374– 381.وانظر أيضا :

Chalandon, op. cit., I, p. 377 ; Hady (R.I), op. cit., I, pp. 334–337.

(15)- أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م. III، ص. 374.

(**)- يقع هذا الدير بجنوب فرنسا.

(***)- تقع شمال العراق. أسسها بلدوين الأول Baudouin في مارس عام 1098م. وتعد أوّل إمارة صليبية تقوم في المشرق الإسلامي. استردها القائد عماد الدين زنكي، صاحب الموصل وحلب، من أيدي الصليبيين عام 539هـ/1144م. عاشور سعيد عبد الفتاح : الحركة الصليبية، المكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1963م، الجزء الثاني، ص. 605– 606.

وانظر أيضًا : Brehier (L), l'Eglise et l'orient, Paris, 1907, p. 77.

(16)- أنظر : HADY(R.I), op. cit., I, p. 355.

(17)- المؤنس، نقلا عن م-ع- ص، ص. 538.

(18)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 292.

(19)- أبو الفداء : المختصر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 416.

أشار إلى هذا الوضع الإفريقي الصعب والثّقيل كلّ من ابن خلدون : العبر، ص. 500- 501. والتيجاني رحلته، ص. 399 وأبي الفداء : المختصر، ص. 416، في المكتبة الصقلية. وأنظر أيضا النويري : نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق

الأستاذ عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004، الجزء الرابع والعشرون، ص. 136.

(20)- البيان، نقلا عن –م-ع- ص، ص. 373.

(21)- الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 292.

ذكر أمارى وضع افريقية السيئ وحرص روجر الثاني على استغلاله للهجوم على إفريقية. تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص 407.

(22)- الكامل، نقلا عن –م-ع-ص، ص. 292. وأنظر أيضا : HADY(R-I), Op. cit., I, P.355.

(23)- عن تفاصيل هذه الأزمة الداخلية ارجع إلى : المصادر الإسلامية الواردة في المكتبة العربية الصقلية منها : الكامل، ص 290–292 ؛ المؤنس، ص. 538-539؛ العبر، ص. 489، 499-500 ؛ رحلة التيجاني، ص. 384 ؛ أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 403- 405. وانظر أيضا : Mercier, op. cit., II, pp. 86-87 ; Mas Latrie, op. cit., p. 43 ; Hady (R.I), op. cit., I, pp. 353- 355.

لعل سبب عجز روجر الثاني عن فتح مدينة قابس يرجع إلى ضعف الأسطول النورماندي الذي كان الملك قد زج بمعظمه في حرب أخرى مع الإمبراطورية البيزنطية. أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 405- 406. وانظر أيضا : Chalandon, op. cit., II, p. 163 ; Hady (R.I), op. cit., I, p. 355.

(24)- عن احتلال النورمان لجربة وطرابلس أرجع إلى المصادر الإسلامية نقلا عن المكتبة العربية الصقلية منها : نزهة المشتاق، ص. 73 ؛ الكامل، ص. 286-290 ؛ رحلة التيجاني، ص. 384، 388-389 ؛ المؤنس، ص. 573 – 538 ؛ البيان، ص 372– 373 ؛ وفيات الأعيان، ص. 642 ؛ المختصر، ص. 415-416 ؛ العبر، ص. 798– 499 ؛ النويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 135- 136. وانظر أيضا : توفيق الطيبي : العلاقات بين جزيرتي جربة وصقلية، ص. 144- 146 ؛ أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 394–395، 401–402. وأنظر أيضا :

Gobvin, le Maghreb central à l'époque des Zirides, Paris, 1957, p. 147 ; Mercier, op. cit., II, pp. 84–86 ; Mas Latrie, op. cit., p. 42,45 ; Deuve, op. cit., p. 177 ; Hady (R.I), op. cit., I, pp.345 –346, 351-352 ; Chalandon, op. cit., II, p. 159–161.

(25)- الكامل، نقلا عن م – ع – ص، ص. 292-293.

اختلفت المصادر الإسلامية في تقدير حجم الأسطول النورماندي حيث ذكر التيجاني "ثلاثماية مركب" وقدرها ابن خلدون بمايتين وخمسين من الشواني ثم ثلاثماية مركب وليس ثلاثماية وخمسين كما أوردها الهادي روجر إدريس. ويتفق أبو الفداء والنويري مع ابن الأثير فيما اكتفى ابن أبي دينار بقوله "فحشد جيشا عظيما وبعث من مراكب مشحونة بالسلاح وآلات الحرب". رحلة التيجاني والنويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 136- 137. نقلا عن م-ع- ص، ص. 399 ؛ المختصر، نقلا عن م—ع— ص، ص. 416 ؛ العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 488، 501 ؛ ابن أبي دينار : المؤنس، نقلا عن م-ع-ص، ص. 539 ؛ النويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 136. وأنظر أيضا : Hady(R.I), op.,cit., I, p. 355.

(ڤ) قوصرة : هي بنطلاريا Pantellaria. يقول الحموي أنّها جزيرة في بحر الروم بين المهديّة وجزيرة صقليّة. وذكر أبو الفداء في كتابه تقويم البلدان أنّها جزيرة قُبالة إفريقية بالقرب من تونس وبينها وبين صقلية مجرى. ياقوت الحموي : معجم البلدان، جـ. 4، ص. 200-201 ؛ تقويم البلدان، صحّحه وطبعه رينود Renaud والبارون دي سلان Deslane، باريس، 1840م، ص. 188.

(26)- الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 293.

أورد ابن خلدون هذه الفكرة أيضا. العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 501.

(27)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 293 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م —ع- ص، ص. 399 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 501. وانظر أيضا : Chalandon, op. cit., II, pp. 163–164.

أورد ابن الأثير رواية تفيد بأن الحسن كان قد أوفد أحد قواده إلى "رجار برسالة فأخذ لنفسه وأهله أمانا. "الكامل نقلا عن م-ع- ص، ص. 295. يوحي هذا الخبر بأن الحسن قد نال ضمانا من روجر. وهل ينم هذا الموفق عن خيانة منه ؟ لكن الأمر الذي لا ريب فيه، هو أن الحسن لم يحاول مغادرة المهدية مع عائلته قبل وصول النورمان إليها. وتجدر الإشارة إلى أن مثل هذه المبادرة تتنافى

كلية مع طابع السرية الذي اكتنف غاية هذه الحملة منذ انطلاقها. ارجع إلى :

Hady (R.I), op. cit., I, 355-356.

(28)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص 293 ؛ النويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 137 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م – ع- ص، ص 399 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن - م-ع- ص، ص 501 ؛ الباجي المسعودي، نفس ، ص. 408. وانظر أيضا :IIIالمرجع، ص. 52 ؛ أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م

Hady (R.I), op. cit., I, pp. 356–357 ; Maslatrie, op. cit., p. 43 ; Mercier, op. cit., II, p. 87 ; Chalandon, op. cit., II, p. 164.

(29)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 286 ؛ ابن أبي دينار : المؤنس، نقلا عن م-ع- ص، ص. 573– 538. وانظر أيضا :

Hady (R.I), Ibid ; chalandon, op. cit., II, p.160 ; Mercier, op. cit., II, p.85.

(30)- المؤنس، نقلا عن م-ع- ص، ص. 537– 538.

(31)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 293– 294 ؛ النويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 137 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 501. وأنظر أيضا :

Hady (R.I), op. cit., I, p. 357 ; Mercier, Ibid.

يذكر أبو الفداء عكس ذلك حيث يقول : "فجمع كبراء البلد واستشارهم فرأوا ضعف حالهم وقلة المؤونة عندهم". المختصر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 416.

(32)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 29 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع-.ص، ص. 501 ؛ أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م. III، ص. 408.

(33)- ابن خلدون : العبر نقلا عن م-ع- ص-، ص. 488 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 399 ؛ الباجي المسعودي : نفس المصدر، ص. 52.

(34)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 394 ؛ النويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 137 ؛ أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م. III، ص. 408. وأنظر أيضا : Hady (R.I), op. cit., I, p. 357.

(35)- أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 408.

ذكر الكاتب سرهنك "أن الحسن طلب المساعدة من ملوك الإسلام، ولما لم يجيبوه رحل عن المهدية". الواقع أنه يعد الكاتب الوحيد الذي أورد هذه الفكرة. سرهنك (إسماعيل) : من حقائق الأخبار من دول البحار، الجزء الأول، القاهرة، 1312هـ/1894م، ص. 409.

(36)- ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص. 294 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 399-400 ؛ النويري : المصدر السابق، ج. 24، ص. 137.

(❖) لما طالت إقامته بالمعلقة لمس الحسن السآمة والاستياء من صاحبها ومن ثم قرر التوجه إلى مصر لكن لما خشي من الوقوع في قبضة جورج الأنطاكي شد رحاله إلى عبد المؤمن بن علي الكومي بالمغرب الأقصى. وأفاد صاحب القرطاس أن الحسن ذهب إلى الجزائر عقب سقوط المهدية، وبقي بها إلى أن وصل عبد المؤمن إليها وحمله معه عند عودته إلى مراكش بالمغرب الأقصى. ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 295—296 ؛ التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 400 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب، نقلا عن م-ع- ص، ص. 403.

(37) تناول ابن الأثير هذا الحدث الحاسم، والمعروف "بالكائنة الشنعاء" عند ابن عذارى، بقدر ملحوظ من التفصيل والدقة والوضوح ؛ الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 294—295 ؛ وأنظر أيضا : النويري، المصدر السابق، ج. 24، ص. 137 ؛ البيان، نقلا عن م-ع- ص، ص. 373. وحول هذا الحدث ارجع إلى المصادر الإسلامية نقلا عن المكتبة العربية الصقلية وهي رحلة التيجاني، ص. 399—400 ؛ العبر، ص. 488—501 ؛ المؤنس، ص. 539 ؛ المختصر، ص. 416- 417 ؛ الأنيس المطرب، ص. 403 ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ص. 657 ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ص. 642 ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج5، ص.125. وأنظر أيضا : الباجي المسعودي : نفس المصدر، ص. 52 ؛ سرهنك : نفس المرجع، جـ1، ص. 409 ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 408 وما بعدها. وأنظر أيضا :

Hady, op. cit., I, p. 357 ; Golvin, op.cit.,p. 147 ; Mercier, op. cit., II, p. 87 ; Maslatrie, op.cit., p. 43.

يشير التيجاني إلى أن الدخول إلى المدينة وقع بعد وصول الأسطول بسبع ساعات وحسب رواية "ابن الأثير والنويري وأبي الفداء فإنه حدث بعد مضي ثلثي النهار. وأما ابن خلكان فإنه وضع هذا الحدث في اليوم الثاني عشر من شهر صفر. والأرجح أنه أخطأ في ذلك لأن هذا التاريخ يناسب يوم سقوط مدينة سوسة. عن الاحتلال النورماندي لسوسة يمكن العودة إلى المصادر الإسلامية المذكورة أعلاه والواردة في المكتبة العربية الصقلية.

(38)- أورد التيجاني اسم المهديتين ويقصد بها المهدية وزويلة لاتصال هذه الأخيرة بالحاظرة الزيرية. وذكر ياقوت الحموي أن المسافة التي تفصل بينهما لا تتجاوز رمية سهم أو طول ميدان. معجم البلدان، ج.2، ص.961 وج. 4، ص. 696.

(39)- عن هذا الموضوع ارجع إلى المصادر الواردة في المكتبة العربية الصقلية ومنها : الكامل، ص. 294-295 ؛ رحلة التيجاني، ص. 400 ؛ العبر، ص. 488، 500 ؛ المختصر، ص. 17 ؛ ونفس المصدر، إصدار دار اللجار لصاحبها : أديب عارف الزين، 1380هـ/ 1960م، الجزء الخامس، ص. 30 ؛ المؤنس، ص. 539 ؛ وفيات الأعيان، ص. 642 ؛ البيان، ص. 373هـ. وأنظر أيضا : النويري، المصدر السابق، ج. 24، ص. 137 ؛ حسن حسني عبد الوهاب : نفس المرجع، ص. 119 ؛ سرهنك : المرجع، جـ. 1، ص. 409 ؛ الباجي المسعودي : نفسه ؛ أماري : تاريخ مسلمي صقلية، ج. III، ص. 409— 411. وارجع أيضا إلى : Chalandon, op. cit., II, p. 164 ; Mas Latrie, op.cit., p. 43 ; Hady, op. cit., I, p. 358 ; Mercier, op. cit., II, pp. 87-88.

(40)- أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 410. وأنظر أيضا : Chalandon, op. cit., II, p. 164 ; Hady, op. cit., I, p. 358.

(41)- رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 400. وردت هذه الفكرة أيضا في كتاب الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، نقلا عن ذيل م-ع- ص، ص. 62-63.

(42)- إبن أبي دينار : المؤنس، نقلا عن م-ع-ص، ص. 593. وأشار إلى ذلك أيضا التيجاني : نفسه.

(43)- إبن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 294-295.

(44)- إبن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 501.

(45)- أماري : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 410.

(46)- عن هذه العوامل المحرّكة للعرش النورماندي ارجع إلى الصفحة الثانية من هذا البحث.

(47)- أنظر : Martin (J.M), op.cit., p. 365.

(48)- أنظر : Bresc (H), le Royaume d'Afrique et l'Archeveche de Mahdiyya, dans échanges et colonisation dans la méditerranée médiévale, sous la direction de Michel Balard et Alain Ducellier, publication de la Sorbonne, p.p. 353-354

(49)- التيجاني : رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 400. ذكر أماري أيضا هذه الفكرة. تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 409.

(50)- أمارى : تاريخ مسلمي صقلية، م III، ص. 461– 462. وانظر أيضا :
Chalandon, op cit., II, p.238 ; Hady, op.cit., I, p.383 ; Bresc(H), le Royaume d'Afrique, p.355.
عن ثورة زويلة ضد النورمان إرجع إلى : ابن الأثير : الكامل، نقلا عن م-ع- ص، ص. 302–303 ؛ ابن خلدون : العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص. 504. وانظر أيضا :
Siragusa (G-B), Il regno di Gugliclmo I in sicilia, pallermo, 1929, p.105 et suivantes.

(51)- أنظر : Bresc(H), le royaume d'Afrique, pp.353 – 354.

(52)- أنظر : Abulafia(D), The Norman Kingdom of Africa and the Norman Expedition to Majorca and The Muslin Mediterranean, dans Italy, Sicily and Mediterranean 1100-1400, Variorum Reprints, London, 1987, XII, p.38.
وانظر أيضا : Bresc, op.cit., p.353.

(53)- أنظر : Chalandon, op. cit., II, p.236 ; Hady, op. cit., I, p.379.

(54)- أنظر : Bresc, le Royaume d'Afrique, p.356.

(55)- الكامل، نقلا م-ع- ص، ص. 305.

(56)- كتاب المعجب، نقلا عن م-ع- ص، ص. 319.

(57)- العبر، نقلا عن م-ع- ص، ص.505.

(58)- رحلته، نقلا عن م-ع- ص، ص. 401.

(59)- الحلل الموشية في ذكر أخبار المراكشية، نقلا عن ذيل م-ع- ص، ص. 63.

(60)- لمعرفة شكل هذه العملة ارجع إلى : Abdul-Wahab(H.M), Deux Dinars Normands de Mahdia, Extrait de la revue Tunisienne, 3e et 4e trimestre, 1930, Tunis, 1930, pp. 2-3.

المصادر والمراجع المعتمد عليها :

I- المصادر العربية :

- ابن الأثير الجزري (توفي عام 630هـ/1232م).

❖ الكامل في التاريخ. في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- الشريف الإدريسي (توفي عام 548هـ/1154م).

❖ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- الباجي المسعودي (توفي عام 1297هـ/1879-1880م).

❖ الخلاصة النقية في أمراء أفريقية، تونس، 1283هـ/1866م.

- التيجاني (توفي عام 869هـ/1464م).

❖ رحلته، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- ابن حمديس (توفي عام 527هـ/1133م).

❖ ديوانه، حققه وصححه الدكتور إحسان عباس، بيروت، 1960م.

- ابن خلدون (توفي عام 808هـ/1406م).

❖ كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك. 1857 م.

- ابن خلكان (توفي عام 681هـ/1281م).

❖ وفيات الأعيان وأنباء الزمان، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- ابن أبي دينار (من علماء القرن 12هـ/18م).

❖ المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- ابن أبي زرع الفاسي (توفي بعد عام 724هـ/1324م).

❖ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- الصفدي (توفي عام 764هـ/1362م).

❖ الوافي بالوفيات، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- ابن عذارى (من علماء القرن 7م/12-13م).

❖ البيان المغرب في أخبار المغرب، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- أبو الفداء (توفي عام 732هـ/1331م).

❖ المختصر في أخبار البشر، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

❖ تقويم البلدان، صححه وطبعه رينو والبارون دي سلان، باريس، 1840م.

- القلقشندي (توفي عام 821هـ/1418م).

❖ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الجزء الخامس، القاهرة، 1922م.

- لمؤلف مجهول.

❖ كتابة الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ألف في القرن8هـ/14م، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- المراكشي (توفي عام 620هـ/1223م).

❖ كتاب المعجب في تخليص أخبار المغرب، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- ابن ميسر (توفي عام 677هـ/1278م).

❖ أخبار مصر، في : Recueil des historiens orientaux, T.III. ، Paris، 1884م.

- النويري (توفي عام 732هـ/1332م).

❖ نهاية الارب في فنون الأدب، في المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

- ياقوت الحموي (توفي عام 626هـ/1229م).

❖ معجم البلدان، ط. بيروت، 1955م. ط. طهران، 1965م.

II- المصادر الأجنبية :

- Chronique du Mont Cassin, Traduction Calmette Joseph, dans textes et documents, Moyen-age, Tome II, Paris, 1953.
- Guillaume de Pouille : La Geste de Robert Guiscard, Traduction et Commentaire de Marguerite Mathieu : Pallermo, 1961.
- Malaterra Geoffroi : Historia Sicula , dans Murotori(L.A), Rerum Italicarum Scriptores, T.V, 1ère partie. Dec. 1925- Mai 1928.
- Orderie vital : historia ecclesiastica, traduction Guizot(F.P.G), dans collection des Memoires Relatifs à l'Histoire de France, Paris, 1825.

III- المراجع العربية :

- إحسان عباس :

❖ العرب في صقلية، القاهرة، 1859م.

- أماري ميشال :

❖ المكتبة العربية الصقلية، ليبسك، 1857م.

❖ تاريخ مسلمي صقلية، الجزء الثالث : إعداد : د. محب سعد إبراهيم. لي مونييه، فلونسا، 2003م.

- توفيق الطيبي أمين :

❖ العلاقات بين جزيرتي جربة وصقلية في أواخر القرون الوسطى (1100-1500م) ضمن مجلة البحوث التاريخية (مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي)، العدد الأول، يناير1984م.

- حسن (حسني عبد الوهاب) :

❖ خلاصة تاريخ تونس، تونس، 1983م

- سرهنك (إسماعيل) :

❖ من حقائق الأخبار عن دول البحار، الجزء الأول، القاهرة، 1312هـ/1894م.

- عاشور (سعيد عبد الفتاح) :

❖ الحركة الصليبية، ج2، القاهرة، 1963م.

❖ تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، 1972م

- مارسيه جورج (Marçais George) :

مقال : "الزيريون"، في دائرة المعارف الإسلامية، يصدرها باللغة العربية أحمد الشنتناوي، إبراهيم زكي، خورشيد عبد الحميد يونس، المجلد الحادي عشر.

- المدني (أحمد توفيق) :

❖ المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، تونس، 1365هـ/1945م.

IV- المراجع الأجنبية :

- Abdulwahab(H-H) : Deux dinars Normands de Mahdia, Extrait de la revue Tunisienne 3e et 4e trimestre, Tunis, 1930.

- Bazancourt(le Baron de) : Histoire de la Sicile sous la domination des Normands depuis la conquête de l'ile jusqu'à l'établissement de la monarchie, t. I., Paris, 1946.

- Brehier(Louis) : L'église et l'orient au M. age, Paris, 1907.

- Bresc(Henri) : Le royaume d'Afrique et l'archevêché de Mahdiyya, des échanges et colonisation dans la Méditerranée médiévale, sous la direction de Michel Balard et Alain Ducellier, Publication de la Sorbonne.

- Chalandon(Ferdinand) : Histoire de la domination normande en Italie et en Sicile, T. I, II, Paris, 1907.

- Decarreaux (J) : Normands papes et moines, cinquante ans de conquête et de politique religieuse en Italie méridionale et en Sicile, Paris, 1974.

- Deuve(Jean) : Les seigneurs de l'ombre. Les services secrets normands au12e siècle, éditions Charles Colet, 1995.

- Delarc(O) : Les normands en Italie depuis les premières invasions jusqu'à l'avènement de Saint Grégoire VII, Paris, 1883.

- Gautier(d'arc) : Histoire des conquêtes des normants en Italie, en Sicile, et en Grèce, Paris, 1830.

- Giunta(Francesco) : Il regno tra realta europea e vocazione mediterranea, ds potere, societa e popolo nell eta dei due guglielmi, ds atti delle quarte giornate normano Sveve, Bari 8- 10 ottobre 1997.

- Golvin(L) : Le Maghreb central à l'époque des Zirides, Paris, 1957.

- Hady(R I.) : La berberie orientale sous les Zirides, Xe-XIIe siècle T.I, Adrien–Maisonneuve, Paris, 1962.

- Laprimandraie(de) : Arabes et Normands en Sicile et en Italie du sud, Paris,1868.

- Lavisse(E) : Histoire de France depuis les origines jusqu'à la révolution, T.II, Paris,1844.

- Lot(Ferdinand) : Naissance de la France, Paris, 1948.

- Martin(Jean-Marie) : Italie Normandes, XIe-XIIe siècles, ed. Hachette, 1994.

- Mas Latrie(Le Baron de) : Traités de paix et de commerce, et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au M-Age, Paris, 1886.
- Mercier(E) : Histoire de l'Afrique septentrionale depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, T.I, II, Paris, 1888.
- Musset(Lucien) : Les peuples scandinaves au Moyen-Age, Paris, 1951.
- Perrin(E.Ch) : L'Allemagne, l'Italie et la Papauté de 1125 à 1250, Paris.
- Siragusa(G-B) : Il regno di guglielmo I in Sicilia, Palermo, 1929.